الأهرام

المصدر : المصور
التاريخ : ١٦ أكتوبر ١٩٩٥

رسالة واشنطن
يكتبها:
محمد وهبي

●● اعترف الرئيس كلينتون بأنه بالرغم من أهمية اتفاق طابا إلا أنه مازال هناك عمل كثير مطلوب لكي تستمر عملية السلام، ثم قال وهو يقطع عهدا على نفسه فى حفل توقيع الاتفاق: «سنستمر في السير إلى الأمام ومع كل خطوة يخطوها على الطريق أولئك الذين يعملون ويغامرون من أجل السلام، كما سنبذل الجهود معهم حتى تكتمل حلقة السلام، وهى حلقة يجب أن تضم سوريا ولبنان إذا أريد للسلام أن يكتمل»

والسؤال الآن: هل ستبذل أمريكا كل الجهود المطلوبة فعلا وفى الوقت المناسب قبل أن تنفجر بعض القنابل الموقوتة التى خلفها الاتفاق الأخير؟، فى يد أمريكا أوراق كثيرة يمكن لها أن تحسن استخدامها، فأى من هذه الأوراق استخدمتها حتى الآن لكى يتحقق الاتفاق الأخير؟ وهل استخدام الأوراق نفسها سيكفى هذه المرة لتنفيذه؟ !●●

قبل أن تنفجر القنابل الموقوتة فى اتفاق طابا
هل ستقوم أمريكا بدورها؟!

فى رد على سؤال مباشر عما قامت به أمريكا للتوصل إلى هذا الاتفاق الذى تم به توسيع نطاق الحكم الذاتى الفلسطينى ليشمل الضفة الغربية، قال كلينتون بعد لحظة صمت وكأنه قد فوجئ بالسؤال «حسنا.. لقد استمررنا فى العمل لمساعدة الأطراف فى صنع السلام وفى مساعدتهم للتوصل إلى اتفاقاتهم. «إجابة دبلوماسية قد لا تبرز بعض ما قامت به أمريكا فعلا لكنها قد صيغت أيضا لكى تتجنب أى إلتزامات يجب عليها أن تقوم بها فى المرحلة القادمة التى تتسم بخطورة بالغة.

ولنبدأ بالدور الذى قامت به أمريكا بل الذى قام به الرئيس كلينتون نفسه فى الدقائق الأخيرة المشحونة بالدراما قبل توقيع الاتفاق وهو دور لم يشعر به أحد من الذين جلسوا فى القاعة الشرقية بالبيت الأبيض مطمئنين أنهم سيشاهدون بعد لحظات ومع ملايين آخرين حول العالم عرفات ورابين يوقعان على اتفاق طابا.

لقد أعلن عن هذا الدور مسئول كبير فى البيت الأبيض عقب توقيع الاتفاق.

وسأترك هذا المسئول يحكى بنفسه هذه اللحظات الدرامية: «لقد دخل الرئيس مبارك والملك حسين والرئيس عرفات ورابين مع وزراء خارجيتهم إلا فى حالة الأردن فقد كان مع الملك رئيس وزرائه – دخلوا الأربعة المكتب البيضاوى ليجتمعوا فى قمة خماسية مع الرئيس كلينتون وكانت هذه أول مرة يجتمع فيها الخمسة فى حجرة واحدة من أجل لحظة

مهمة. ثم انكبوا على مناقشة بيان أعدته الإدارة الأمريكية تحت اسم «إعلان واشنطن لسلام الشرق الأوسط».. فناقشوا بعمق قمة عمان الاقتصادية (التى ستعقد الشهر القادم) وأهمية الانتهاء من الاتفاق على إنشاء بنك الشرق الأوسط للتنمية قبل عقد هذا المؤتمر..

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

ثم ناقشوا مطولا قضية البوسنة وأهميتها فى سياق علاقات المسلمين مع الأوربيين ومعنا (الأمريكيين). لقد كان نقاشا جادا شارك فيه الجميع ثم تحولوا لتناول بعض الثغرات فى اتفاق طابا نفسه.. وفجأة دخل دنيس روس (المنسق الأمريكى لعملية السلام الذى كان يجتمع مع المفاوضين الإسرائيليين فى حجرة منفصلة لسد هذه الثغرات وبالذات حول قضية الإنسحاب من الخليل وحول الـ ٢٦ خريطة الملحقة بالاتفاق) – دخل روس على الزعماء الخمسة ليعلن لهم أنه قد اصطدم بعقبة لم يستطع أن يتغلب عليها مع الإسرائيليين واقترح أن يجتمع رئيس الوزراء رابين بالرئيس عرفات ليتغلبا على هذه العقبة. وعندما هم الزعيمان بالخروج وقف الرئيس كلينتون وقادهما إلى حجرة طعام خاصة به حيث نوقشت المشكلة.. وفى اللحظة التى تبين للرئيس كلينتون أنهما أيضا لن يستطيعا التوصل إلى تفاهم تدخل ليؤكد الأهمية القصوى لتوصلهما إلى تسوية قائلا أن العالم كله فى خارج الحجرة ينتظرهما وأنهما بعد أن قطعا هذا الشوط الطويل للتوصل إلى الاتفاق فإن بإمكانهما التفاهم حول نقطة تفصيلية متبقية!. ثم تركهما الرئيس لينضم للرئيس مبارك والملك حسين. فلم تمض سوى دقائق إلا وظهر رابين وعرفات ليعلنا أنهما قد حلا المشكلة»!

ثم استطرد المسئول الكبير فقال «إن أهم ما يجب الإشارة إليه هو أن الرئيس كلينتون قد قام بتوفير المكان والسياق اللذين مكنا هذين الزعيمين من الاتفاق حول النقطة التفصيلية الأخيرة في الاتفاق.»

هذا ما قاله المسئول الكبير فى البيت الأبيض وهذا بالضبط هو الدور الذى يجب على أمريكا أن تقوم به خلال الفترة المقبلة لكى تحقق السلام الشامل ولتضمن تنفيذ اتفاق طابا ذاته قبل أن تنفجر القنابل الموقوتة المدفونة فى طيات الـ ٤٦٠ صفحة التى شملها. بعبارة أكثر وضوحا إن تدخل الرئيس الأمريكى بالصورة المناسبة لحل الأمور فى اللحظات التى لا يستطيع الطرفان فيها التوصل إلى.تفاهم، هو أمر لا مفر منه مهما كانت براعة وزير الخارجية أو براعة المنسق الأمريكى لعملية السلام. ولا يقلل هذا من شأنهما فقد قاما بالكثير وخاصة المنسق روس فى تقريب وجهات النظر وفى شرح الموقف الداخلى لكل طرف للطرف الآخر.

لماذا تأييد أمريكا أولا ؟

ولكن تدخل الرئيس – أى رئيس – أمر مختلف تماما. هل كان يمكن أن يحل أحد محل الرئيس كارتر ليتحقق السلام بين مصر وإسرائيل؟! قطعا لا! هل كان يمكن أن يتحقق مؤتمر مدريد نفسه دون أن يضع الرئيس بوش كل ثقله بالإضافة إلى استثماره لتداعيات حرب الخليج وراء جهود وزير خارجيته بيكر مهما كانت براعته؟! بالقطع لا! لقد حقق كلينتون فجأة سلسلة من النجاحات الخارجية خلال الأسبوعين الأخيرين سواء فى البوسنة باستخدامه مزيج من القوة والدبلوماسية، وفى البلقان بتحييد موقف روسيا التى قدم لها مقعدا على مائدة المفاوضات، وفى الصين التى أجلت بيع مفاعل نووى لإيران، ومع أنها نجاحات لم تكتمل بعد إلا أنها يمكن أن تكتمل دون تدخل شخصى منه. أما بالنسبة لاتفاق طابا فإن كل الشواهد تدل على أنه لن يستطيع أن يكمل النجاح الذى تحقق بتوقيع هذا الاتفاق دون أن يتدخل هو شخصيا فى المواقف التى لا يستطيع فيها مبعوثوه أن يفعلوا شيئا أمام تعنت إسرائيل واستغلالها لموقفها الأقوى فى مواجهة الفلسطينيين. كما أن هذا الاتفاق بالذات يحتاج إلى مساندة كل القوى الدولية والإقليمية التى لها مصلحة فى استقرار الشرق الأوسط. فالتوصل إلى اتفاق مع إسرائيل شئ وتنفيذه شئ آخر تماما، على الأقل فى إطار التجربة الفلسطينية المريرة. كما تقضى الحقيقة بأن أقول إنه رغم كل ما حققه الاتفاق للفلسطينيين إلا أنه فى التحليل النهائى هش فى بنيته ويحتاج إلى تدعيم كبير ومستمر إذا أريد له ألا ينهار. وكلنا نعرف مشكلة الخليل وما يمكن أن يسببه المجانين الأربعمائة من اليهود المتعصبين الذين يعيشون وسط حوالى ١٤٠ ألف فلسطينى! ولن تقوم إسرائيل بإجلائهم ولكن ببناء طريق يربطهم بمستوطنة كريات أربع المجاورة! كما أن بعضنا أصبح يعلم الآن أن الفلسطينيين لم يحصلوا إلا على ٣١,٧٪

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

الرئيسان مبارك وكلينتون فى القمة المصرية ـ الأمريكية

الرئيس مبارك مع جنجريتش زعيم الجمهوريين فى الكونجرس
ومعهما عمرو موسى وزير الخارجية ود. أسامة الباز

من الضفة الغربية إذا ما اعتبرنا أن الريف الفلسطينى بقراه أصبح يخضع للسلطة الفلسطينية رغم مشاركة إسرائيل فى كل عمليات الأمن المتعلقة بالـ ٤٥٠ قرية التى تشكل هذا الريف. أما إذا استثنينا الريف فإن ما ستسيطر عليه السلطة الفلسطينية بصورة كاملة قد لا يزيد كثيرا على ٦٪ من الضفة. ولكن الأخطر أن كل المدن التى تشكل هذه الـ ٦٪ تقريبا ستصبح مثل الجزر المنعزلة داخل محيط تسيطر عليه إسرائيل سواء بقواتها العسكرية أو بـ ١٤٠ مستوطنة مدججة بالسلاح والكراهية.

وقد اتفق معظم كبار الصحفيين الإسرائيليين الذين قابلتهم والذين جاءوا مع رابين إلى واشنطن على أن المستوطنين - وليس حماس - هم الذين يشكلون الخطر الحقيقى الذى يمكن أن ينسف الاتفاق من أساسه. ومن ثم فهم لا يقدرون فرص نجاح الاتفاق بأكثر من ٥٥ - ٦٠٪ كما ستقوم إسرائيل فى الفترة المقبلة ببناء شبكة طرق «التفافية» حول المدن الفلسطينية لكى تربط هذه المستوطنات بجسدها الأصلى عبر الخط الأخضر. ومن المعروف أن أى شبكة طرق تشكل بنية تحتية تبنى لتخدم هدفا استراتيجيا، أى لتبقى ولا تهدم بعد الفترة التى يتم فيها بناؤها!

أنكر كل ذلك ليس للانتقاص مما حققه الاتفاق للفلسطينيين فى إطار موازين القوى الحالية فقد انتظر الفلسطينيون أكثر من أربعين سنة كانوا يفقدون خلالها قطعة بعد قطعة من أراضيهم فى انتظار تغيير هذه الموازين! ولكننى ذكرت ذلك للتأكيد على حاجة الاتفاق للمساندة من الجميع وفى مقدمتهم صانعو القرار فى واشنطن سواء على مستوى الرئاسة أو مستوى الكونجرس حيث تنشط العناصر التى اكتسبها الليكود وعلى رأسها رئيسا لجنتى الشئون الخارجية فى مجلسى النواب والشيوخ لكى تقوض الاتفاق عن طريق حرمان السلطة الفلسطينية بحجة أو بأخرى من الـ ٥٠٠ مليون دولار التى قررتها الإدارة لها. ولن تكون هذه المساندة فى صالح

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الفلسطينيين فقط ولكن فى صالح إسرائيل. فقد هاجم رابين أثناء وجوده فى واشنطن القيادات اليهودية الأمريكية التى تعمل لتقويض الاتفاق فى الكونجرس كما تعمل لكى تحول دون توصل إسرائيل إلى اتفاق مع سوريا. كما أن هذه المساندة فى صالح أمريكا أيضا، فبدون سلام فلسطينى إسرائيلى لن تستطيع أن توفق بين مصالحها مع العرب ومصالحها مع إسرائيل وبدون استقرار فى الشرق الأوسط لن تضمن استمرار تدفق البترول إليها وهو العامل الأول وراء الدور الأمريكى الحاسم فى تحرير الكويت.

أشرت إلى نقاط الضعف فى الاتفاق أيضا لكى أؤكد أنه يحتاج ربما قبل كل شئ إلى ضمان استمرار أغلبية الفلسطينيين أنفسهم له! ولن يتأتى ذلك إلا عن طريق شعورهم بأن الطريق الذى وضعهم عليه عرفات سيؤدى إلى تحسن أحوالهم المعيشية وإلى زيادة يقينهم بأنهم سيصلون إلى طاقة النور فى نهاية النفق. وإلا تململ حتى المؤيدون للاتفاق فيقعون فريسة للقوى المتطرفة وهى قنبلة موقوتة أخرى. ولا يمكن لأى قوة فى العالم أن تحشد الدعم الاقتصادى والسياسى الدولى اللازم للسلطة الفلسطينية لتحقيق ذلك سوى أمريكا ممثلة فى شخص رئيسها. وكان يكفى أن نرى فى احتفال التوقيع الرئيس مبارك والملك حسين ورئيس ووزراء المغرب ووزراء خارجية كل دول الخليج بالإضافة إلى رئيس ووزراء أسبانيا بصفته الرئيس الحالى للاتحاد الأوربى الحالى ووزراء خارجية اليابان وروسيا وكندا لكى ندرك كيف استطاعت أمريكا أن تجمع لهذه المناسبة كل القوى الكبرى فى العالم وكل القوى الإقليمية لمساندة الاتفاق. فحشد كل هذه القوى لكى تشاهد نتائج عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية ممثلة فى اتفاق جديد يشجعها على مواصلة وتكثيف مساعداتها المادية للفلسطينيين.. وقد تعمدت أمريكا أن تعقد عقب توقيع الاتفاق مباشرة إجتماعا للدول المانحة لهذه المساعدات لكى تستثمر الديناميكية التى ولدها هذا التوقيع في وفاء هذه الدول بالتزامها بتوفير ٢,٤ مليار دولار للسلطة الفلسطينية وهو مبلغ لم يصرف منه إلا حوالى ٦٠٠ مليون دولار. كما أن فى وجود هذا الحشد الدولى الكبير فى حد ذاته تأييدا معنويا وسياسيا للاتفاق يجعل من الصعب إن لم يكن من المستحيل على أى حكومة إسرائيلية بعد ذلك أن تحنث به كما هدد بعض زعماء الليكود.

سوريا: الغائب الحاضر

على أمريكا إذن ألا تواصل هذا الدور فحسب، وإنما عليها أن تكثفه ولا تجعله نشاطا موسميا قبل انفجار القنابل الموقوتة. كما لابد من أن تكثف أمريكا أيضا جهودها كما اعترف الرئيس كلينتون نفسه لكى تكتمل حلقة السلام الشامل بالتوصل إلى سلام سورى إسرائيلى. ولقد كانت سوريا هى الغائب الحاضر فى احتفال التوقيع على الاتفاق فلم يتحدث أحد بدون الإشارة إلى أهميتها. فالجميع يدركون هذه الأهمية ليس فقط للتوصل إلى السلام الشامل وإنما لحماية وتدعيم الاتفاق الفلسطينى الإسرائيلى ذاته. وإذا كان تدخل الرئيس الأمريكى سيكون ضروريا فى بعض اللحظات الحرجة لكى يضمن الفلسطينيون تنفيذ الاتفاق دون أن ينعكس فى تنفيذه أيضا ميزان القوى بينهم وبين إسرائيل، فإن تدخله للتوصل إلى اتفاق بين سوريا وإسرائيل يعتبر أمرا لا مفر منه. ولكنه يجب أن يكون تدخلا يدل على اهتمام متصل يستحق الجائزة التى يمكن أن يجنيها من تحقيق سلام شامل ودائم فأغلب الاحتمالات تشير إلى أن مثل هذا النصر السياسى لن يتحقق قبل نهاية حملته الانتخابية فى نوفمبر ١٩٩٦ بوقت طويل، أى أنه إنجاز إذا تم سيساهم فى تحديد مستقبله السياسى لأنه سيكون لايزال حيا في ذهن ناخبيه عندما يدلون بأصواتهم. ولعل زيارة الشرع وزير الخارجية السورى لواشنطن يوم الخميس القادم تكون فاتحة لمثل هذا الاهتمام الرئاسى المتصل.

ولكن بعد وقبل كل شئ فإن دورنا نحن كعرب يظل دائما الدور الأهم. فعلى الفلسطينيين أن يثبتوا للعالم أنهم يضعون أسس كيان ديمقراطى حقيقى، كيان يحترم حقوق الإنسان وحرية مواطنيه ويعتبر كرامة صحافته من كرامة شعبه، كيان تزداد مؤسساته رسوخا وشفافية. لأنه إذا قام الفلسطينيون بذلك فلن يستطيع أحد أن يحول دون بروز دولتهم على خريطة العالم. وعلى سوريا أن تصعد جهودها لمخاطبة الرأى العام الإسرائيلى فهو يلعب هناك دورا يمكن استثماره بصورة أكفأ. وعلينا نحن كعرب ألا نتهافت فى عملية التطبيع مع إسرائيل فنتال ما نريده قبل أن ينال الفلسطينيون والسوريون حقوقهم. ولا أقول علينا ألا نزيد كوارث الفلسطينيين تحت شعار خدمة قضيتهم كما

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية